البنت

لادب لك اسحق عن ليكونه

اما ترى في الحجرة مقعداً خشناً عارياً ، وقابلة او طبيباً متأملاً مراقباً ، ورجلاً مغبر الوجه يدعو الله ، فثمّ امرأة على وشك الولادة . او ما تسمع من تلك الحجرة صوتاً غريباً يليه من جانب الحضور اهتمام وارتباك ، فهناك مولود جديد يتساءلون عنه . فيقول قائلهم بنت ولطالما اسودّت الوجوه بمثل هذا القول في العصور الخالية . بل سل اليوم عنه فلاحاً ما ، يجبك بما اجابني مزارع بريتوني سألته كم ولدك فقال « آه يا سيدي لا ولد لي وليس عندي غير بنات »

وما احسب ذاته العاطفة ناشئة عن مجرد احتقار واستخفاف . ولكن الابن في بيت الشرف والامارة هو الذي يصل النسب ، ويبقي الاسم . بل نحن الاوساط على اختلاف الدرجات لانكاد نرى من سدّ لحاجة الحب الوالدي الاّ في مولد الابن . فان كنّا من اهل الصناعات ، رجونا ان يكون متمماً لما شرعنا فيه . او كنا من اهل التجارة ، رأينا بعين الامل متجرنا نامياً متسع النطاق باسم فلان وابنه . او كنا من الفعلة ، علمنا الابن مهنتنا واحييناه به الاسم . ولا يحسبنّ الحرص على الاسم مقصوراً على الشرفاء فان للاوساط ايضاً نسباً عالياً من الاستقامة . اما مولد البنت فلا يوجد شيئاً من هذه الاماني ، بل المخاوف كثيرة فيه . فان كل اب بعيد النظر يتساءل يومئذ ما مصير هاته المولودة . فان كان فقيراً خاف عليها الشقاء ، وان كان غنياً خشي الالم المعنوي ، وان لم يكن لها من باب رزق سوى الشغل الذاتي فكيف تصيب الكفاف في هيئة اجتماع لا تكاد النساء يرتزقن فيها ما يقيهنّ الموت جوعاً . وان لم يكن عندها

نقدٌ (معكوس الوضع) فكيف يتيسر لها الزواج في هيئة قضت على النساء بشراء الازواج . وان لم تتزوج فكيف لتوقى العثار ، فان عثرت فكيف تعيش في مجتمع تعد فيه سقطاتها وتسجل . واذا شاخت ايماً بتولاً فذلك موضع الوحدة والحرمان والشقاء من جانبها ، ومحل الاستهزاء والانكار وسوء الظن من جانب سائر الناس . فانهم يلتمسون لعزبتها على الغالب سبباً غير الفقر . فيرمونها بالنزق وينسون موجبه . ويرشقونها بتكلف العفة ويذهلون عن انهم بظهارتها عابثون . على انها تكفّر عن هاته السيئات الناشئة عن طبيعة حالتها بالف مظهر من الاختصاص والشفقة . فان وجدت في اهلها كانت بمنزلة الجدّة الخادمة المدبرة ، وان كانت مقطوعة الرحم انهمكت على فقرها بانماء الزهور ، وتربية الداجن من الحيوان . ومساعدة صغار الفقراء تعلمهم ، والايتام تلبسهم ، وتكون بمنزلة الام لهم جميعاً .

واننا لنرى في حياة البنت ثلاث مسائل اولية الشأن « الميراث » و« التربية » و « التصبي » فاما الميراث فلم يبق فيه محلٌ للخلاف عندنا « الافرنج » بما حصل من السوآء بين أناثنا والذكور فيما يرثون .

واما التربية فاعلم موضع الخلاف عليها . ولقد كادت حجّت الانثويين تكون هي الغالبة فيها عند الغربيين . على اننا لا نزال نلتمس للنساء تقديماً ، ولا نعدم من انفسنا جماعةً من المعارضين يقولون اذا علمت الانثى زال عنها رونق البهجة . فانها لا تأخذ بمجامع القلب الا لكونها لا تحتج ولانها طائر يغرّد ، وطفل يعبث وقلب يحب ، فكيف يحصل فيها الحب اذا لهت عنه بشواغل العلم . فنذكر لهم مدام دي سفينيه الكاتبة المشهورة مثلاً في اجتماع الامرين فيقولون دعوها وشأنها فمذهبكم ان لم يكن مفسداً لخلق الانثى فهو ناقضٌ للهيئة العائلية لا محالة فانه كيف يصلح شأن الصغار ومن يعتني بامورهم اذا كانت الامّ ترصد الكواكب . فالبنات

على رايكم قد يكن عالمات ، ولكنهن لن يصرن زوجات ولا امهات . فكأنما هم يحسبون شأن الزوجة والام مقصوراً على الطباخة ، او نظارة الطاهي والخدمة ، او مراقبة الخادمين والاهتمام بالمصلحة الحسية وامزجة اهل البيت . بل لا يبلغون هذا الحدّ فيما يرون وانما يحسبون ذلك الشأن محصوراً في الحب والرضاعة ، والتعزية ، وما يعلمون ان للزوجة والام فوق ذلك شأناً اعظم من ذلك الا وهو الارشاد والتربية المستلزمان للمعرفة . وانه لا أمّ الا حيث يكون علم ، ولا زوجة الا حيث يكون عرفان . على انه ليس المراد من كشف اسرار الطبيعة لافهام النساء ان تكون بناتنا جميعاً من علماء الفلك والطبيعة ، ولكن المقصود به اضاءة البابهن بانوار العلم اعداداً لهنّ للمشاركة في اراء الرجال وتعليم الاولاد . ويذكر هؤلاء المعارضون مفاسد تعليم النساء ، وينسون مخاطر الجهل . وما تبتئس المرأة ضجراً الا انها جاهلة ، ولا تنفق لزوجها رزق شهر في شراء حلي ، ولا تقوده عند المساء الى الملاهي مريضاً او مجهوداً الا بذلك السبب اي لانه حجب عنها العلم ، واغلق دونها باب النباهة فلم يبق لها الا سبيل البهرج والزيغ . فربّ رجل هزأ بالعلم على كونه لو حصل لزوجته لكان منجاة له من العار

وزاد الكاتب الفرنسوي على ذلك ان لو فرض ان العلم لا يفيدنا من النساء شيئاً فهو من حقوقهنّ الواجبة علينا . او ليست الانثى من الخلق من عباد الله من ذوي النفس الباقية . وان الحالة الزوجية والحالة الوالدية حادثتان طارئتان عليها يبطلها الموت ، وتقطعها الغيبة ، وتكونان في بعض النساء دون بعض . وان لها فوق هاتين الحالتين صفة مقدمة عليهما جميعاً وهي الانسانية . فبهذه الصفة ومن هذا الوجه يحق لها لا محالة تهذيب فكرها وفؤادها . فان حال بينها وبين ذلك عارض من احكامنا اليومية ، فهي تطالبنا بنور العلم باسم الابدية

واما تصبي البنات فلا نرى من حاجة لتعريب ما قال فيه ذلك الفاضل للفرق الذي بين حالتنا وحالة قومه في هذا الامر الخطير ، فهو عند الفرنسيس موضع نظر واهتمام من وجه انّ قانونهم لا يوجب عَلَى مرتكبه حداً ، ولا يلزمه احضان البكر التي جرّها الى الفاحشة وان تصباها بوعد الزواج ، خلافاً لمانص عليه عندنا في الشرع والقانون ولذلك نرى الفحشاء في بناتهم اكثر منها في بنات اوطاننا ، بل هي فوق الكثير عندهم ، ودون القليل في هذه الديار

السنيوره براغا

ثار البرتغاليون عَلَى حكومتهم من بضعة اشهر فاسقطوا الملكية واقاموا مكانها جمهورية وعينوا للرئاسة فيلسوفاً عظيماً ذا فضل عميم . هو السنيور براغا زعيم النهضة الاصلاحية في البرتغال

وهذا الرجل مقترن بسيدة فاضلة ماثلته بالاخلاق وكانت له عوناً كبيراً عَلَى النجاح . زارها كاتب من عهد قريب فاستقبلته بالاكرام ومما قالت له حسب رواية المحيط — انني آسفة لمرور اربعين سنة عشتها مع زوجي ببساطة وهناء وسعادة بعيدين عن كل سياسة تشغل البال . تزوجنا عن حب وعشنا فقيرين انما كنا دائماً سعيدين . ولا شيء يحزننا الا تذكرنا ولدين فقدناهما من عشرين سنة وبتنا بعدهما بلا اولاد يسرون الفؤاد ولكننا نجد عزاء جميلاً زوجي بكتبه وانا بخدمتي المنزلية . وقد قلت لزوجي بعد تعيينه رئيساً للجمهورية انني لا اريد ترك منزلي هذا الصغير وحديقته الجميلة واذا اضطرتنا السياسة لاتخاذ منزل كبير فليكن لنا ذلك دون ان نبرح هذا المنزل بل نبقى فيه ونترك ذاك للرسميات